الباب الحادي عشر
في الجنة وترتيبها وعددها
وما يتعلق بذلك(١)

---

(١) نقل العلامة الشعراني عن الشيخ ما نصه: وقال في الباب الخامس والستين في معرفة الجنة ومنازلها ودرجاتها: اعلم، أيدنا الله وإياك أن الجنة نوعان: جنة محسوسة، وجنة معنوية، والعقل يعقلهما معًا كما أن العالم عالمان: عالم لطيف وعالم كثيف، وعالم غيب وعالم شهادة، والنفس الناطقة المخاطبة المكلفة لها نعيم لما تحمله من العلوم والمعارف من طريق نظرها وفكرها وما وصلت إليه من الأدلة العقلية، ولها أيضًا نعيم بما تحمله من اللذّات والشهوات بما تناله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية، من أكل وشرب ونكاح ولباس وروائح ونعمات طيبة، وأطال في ذلك.

ثم قال: وقد الله خلق الجنة المحسوسة بطابع الأسد الذي هو الإقليد وبرجه هو الأسد، وخلق الله الجنة المعنوية كالروح وقواه ولهذا سماها الحق تعالى الدار الحيوان لحياتها فأهلها يتنعمون بها حسًا ومعنى وفي الحديث: «اشتاقت الجنة لأربع: بلال وعمار وسلمان وعليّ» فوصفها بالشوق إلى هؤلاء، وما أحسن موافقة هذه الأسماء، فإن بلالاً من أبلّ الرجل من ذاته إذا خلص منه، وسلمان من السلامة من الآلام والأمراض، وعمار من العمارة أي بعمارة أهلها لها يزول ألم شوقها إليهم، وعلي من العلو أي: تعلو على النار التي هي أختها.

ثم قال: والناس على أربع مراتب في هذه المسألة فمنهم: من يشتهي ويُشتهى، وهم الأكابر من الرجال من رسول ونبيّ ووليّ وكامل، ومنهم من يُشتهى ولا يشتهي وهم أصحاب الأحوال من رجال الله المهيمون في جلال الله الذين غلب معناهم على حسهم وهم دون الطبقة الأولى فإنهم أصحاب أحوال، ومنهم من يشتهى ولا يُشتهى وهم عصاة المؤمنين، ومنهم من لا يشتهي ولا يُشتهى وهم المكذبون بيوم الدين والقائلون بنفي الجنة المحسوسة ولا خامس لهؤلاء الأربعة أصناف، وتقدم في الباب الثاني والستين أن الجنات ثلاث: جنة اختصاص، وجنة ميراث، وجنة أعمال، فجنة الاختصاص: هي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حد العمل من أول ما يولد إلى انقضاء ستة أعوام، ويعطي الله من يشاء من عباده من جنة الاختصاص ما شاء، ومن أهلها المجانين الذين ما عقلوا، ومن أهلها أهل التوحيد العلمي وأهل الفترات الذين لم يصل إليهم دعوة رسول من أهل التوحيد الفطري.

وأما جنة الميراث: ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين، وهي الأماكن التي تعينت لأهل النار لو دخلوها.

وأما جنة الأعمال: فهي التي تنـزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر، وأطال في ذلك، فما فضُل الرسل على غيرهم إلا بجنة الاختصاص الإلهي، وأما في العمل فهم في جنته بحسب أحوالهم. واعلم أن الاختصاص الإلهي لا تحجير ولا لموازنة ولا العمل، بل ذلك فضل الله يختص به من يشاء.

سمعت الشيخ ﷺ يقول في جنة الفردوس: إن جميع النعم التي يسمع بها في دار الدنيا والتي لا يسمع بها موجودة فيها.

قال ﷺ: ومنها تفجر أنهار الجنة.

* قلت: كما في حديث البخاري وغيره.

قال ﷺ: وكيفية جري الأنهار أنها تجري في النهر الواحد أربعة من الأشربة: الماء، والعسل، واللبن، والخمر، وتجري فيه ولا يختلط بعضها ببعض، كالألوان التي في عروس المطر، ترى فيه ألوانًا أحمر وأصفر وأزرق وأخضر ألوانًا غير مختلطة، كذلك الأشربة في الجنة ترى جارية مجموعة في نهر واحد، ولا يختلط بعضها مع بعض، وهي تجري بحسب شهوة المؤمن في الجنة، فإذا اشتهى الأربعة جرت له، فإذا كان من يليه يشتهي اثنين فقط جرى اثنان وانقطع عنه اثنان بإرادة الله ﷻ فإذا كان من يليهما يشتهي واحدًا انقطع عنه ثلاثة وجرى له واحد، فإذا كان آخر يشتهي أكثر من الأربعة جرى له ما يشتهي بإذن الله

=

قال: وجنة الأعمال مائة درجة لا غير، كما أنّ النار مائة درك.

قال: وهذه المائة درجة في كل جنة من الثمان الجنات، وصورتها جنة في جنة وأعلاها جنة عدن يليها جنة الفردوس وهي أوسط الجنان يليها جنة الخلد، يليها جنة النعيم، يليها جنة المأوى، يليها دار السلام، يليها دار المقامة.

وأما الوسيلة: فهي أعلى درجة في جنة عدن، وهي لرسول الله ﷺ حصلت له بدعاء أمته غيرةً إلهية أن ينفرد أحد بالغناء المطلق غيره تعالى، وسيأتي في الجواب الثالث والتسعين من الباب الثالث والسبعين جواز طلب المؤمن الوسيلة لنفسه، فراجعه.

قال: وأهل الجنة أربعة أصناف: الرسل، والأولياء، والمؤمنون، والعلماء بتوحيد الله من طريق الأدلة العقلية، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وأطال في بيان أقسامهم ومراتبهم في الجنة.

ثم قال: واعلم أنّ الراحة والرحمة في الجنة كلها مطلقة، وإن كانت الرحمة ليست بأمر وجوديّ، وكذلك الرحمة لأنها عبارة عن الأمر الذي يلتذّ به ويتنعم به المرحوم وذلك هو الأمر الوجودي، فكل من في الجنة متنعم، وكل ما فيها نعيم إلا راحة النوم ما عندهم من نعيمه شيء لأنهم لا ينامون، وإنما راحة النوم في جهنم وذلك من رحمة الله بأهل النار، وأطال في بيان حقيقة النار.

ثم قال: وهذا يدلك على أن النار محسوسة بلا شك ويؤيده قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء:٩٧]، فإن النار ما تتصف بهذا الوصف إلا من كون قيامها بالأجسام، لأن حقيقة النار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها ولا تقبل الزيادة ولا النقص، وإنما الجسم المحرق بالنار هو الذي يسجر بالنارية، وأطال في ذلك فراجعه.

تعالى، فإذا نظرت في الجرية من أولها إلى آخرها، رأيت جرية فيها أنواع أربعة في موضع، ونوعان في موضع، ونوع في موضع، وخمسة في موضع، من غير حاجز ولا فاصل، فسبحان الملك الخلاق.

قال ﷺ: وهي تجري في غير حفير.

* **قلت**: كما في الحديث أنها تجري في غير أخدود.

وكنت مرة معه في باب الفتوح.

فقلت له: إني سمعت سيدي فلانًا ـ نفعنا الله به ـ يقول: إن بعضهم رأى مفروط الجنة قدر ذراع.

فقال ﷺ: وأنا رأيته مثل حائط؛ يعني: الحائط المعترض في قبلة مصلى باب الفتوح.

وقال لي مرة أخرى: إنه فيها مثل طول ذلك الحائط وأصغر وأكبر.

ثم قال ﷺ: والناس يظنون أن جنة الفردوس هي أفضل الجنان وأعلاها ولا تبلغها جنة من الجنان، وليست كذلك بل هناك جنة أخرى هي أفضل منها وأعلى، وليس فيها من النعم شيء، ولا يسكنها إلا أهل مشاهدة الله ﷻ من أنبيائه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ومن أوليائه ﷺ ونفعنا بهم.

قال ﷺ: ومشاهدة الله ﷻ عند أهلها أعز عندهم وأحلى وأعلى وأفضل من كل نعمة تصور في الخاطر، وأهل هذه الجنة لا يحبون الخروج منها إلى غيرها من الجنان، كما لا يحب أهل الجنة الخروج منها إلى الدنيا.

قال ﷺ: وغالب من يسكن جنة الفردوس أمة نبينا ومولانا محمد ﷺ ولا يخرج عنها منهم إلا نحو العشرين من أهل الظلم والكبائر، ومن شاء الله أن لا يسكنها من هذه الأمة، نسأل الله عفوه وفضله.

قال ﷺ: ولسيدنا محمد ﷺ محبة عظيمة في أمته، فهو يحب أن يزورهم في الجنة، ويصلهم كما يصل ذو الرحم رحمه، فلذلك جمع الله له بين وسط الجنة العالية ذات المشاهدة السابقة، وبين وسط جنة الفردوس ذات النعم الفاخرة، فجعل مجموع ذلك مسكن النبي

ﷺ ولم يعط هذا واحدًا من الخلائق غيره، فيصل ﷺ جميع أمته من أهل المشاهدة وغيرهم، جعلنا الله من أمته ولا عدل بنا عن سنته وطريقته.

* قلت: وهذه الجنة العالية التي أشار ﷺ إليها هي جنة عليين، والله أعلم.

فقد أخرج ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ أَهْلَ عِلِّيِّينَ لَيُشْرِفُ أَحَدُهُمْ عَلَى الْـجَنَّةِ فَيُضِيءُ وَجْهُهُ لِأَهْلِ الْـجَنَّةِ كَمَا يُضِيءُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ»**(١).

وأخرج أحمد والترمذي وابن حبان عن أبي سعيد والطبراني عن جابر بن سمرة وابن عساكر عن ابن عمر وأبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الطَّالِعَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ»**(٢). انظر: «الجامع الصغير».

ومن نظر أيضًا «البدور السافرة» في أحاديث الرؤية وهي التي ختم بها الكتاب، علم صحة ذلك، واستخرج للجنة العالية أسماء أخر، وهي دار المزيد كما في حديث حذيفة وغيره.

وأخرج أبو نعيم عن أبي يزيد البسطامي، قال: إن لله خواص من عباده لو حجبهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا كما يستغيث أهل النار، والله أعلم.

ـ وسألته ﷺ عما ظهر لي في تسمية الجنة العالية المتقدم ذكرها: فحكيت له أنها جنة عليين.

---

(١) أخرجه ابن عساكر من طريق أبي إسحاق المزكى (٤٤/ ١٨٤) وقال: قال الدارقطنى: غريب. وأخرجه أيضًا: الطبراني في الأوسط (٢/ ٢١٦، رقم ١٧٧٨).

(٢) حديث أبي سعيد: أخرجه أحمد (٣/ ٩٨، رقم ١١٩٥٨)، وعبد بن حميد (ص ٢٨٠، رقم ٨٨٧)، والترمذي (٥/ ٦٠٧، رقم ٣٦٥٨) وقال: حسن. وابن ماجه (١/ ٣٧، رقم ٩٦)، وأبو يعلى (٢/ ٣٦٩، رقم ١١٣٠)، وابن حبان (١٦/ ٤٠٤، رقم ٧٣٩٣). وأخرجه أيضًا: ابن أبي شيبة (٦/ ٣٤٨، رقم ٣١٩٢٥)، وابن عساكر (٣٠/ ١٩٣).

حديث جابر بن سمرة: أخرجه الطبراني (٢/ ٢٥٤، رقم ٢٠٦٥)، قال الهيثمى (٩/ ٥٤): فيه الربيع بن سهل الواسطى ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. والبغوي (١/ ٤٦٧، رقم ٣٠٦)، وابن عساكر من طريق البغوي (٣٠/ ٢٠١). حديث أبي هريرة: أخرجه ابن عساكر (٣٠/ ١٩٩).

فقال ﷺ: هي غيرها.

فقلت: إن في الحديث كذا وكذا، وأشرت إلى الحديث السابق عن أبي سعيد الخدري.

فقال ﷺ: نعم، فعلمت أنه أراد أن يساعف.

فقلت له: اذكر لنا ما عندك.

فقال ﷺ: جنة عليين هي فوق جنة الفردوس، خارجة عن جهتها وليست مسامتة، وهذه الجنة العالية جنة أخرى.

فقلت: فهل تسمى دار المزيد.

فقال ﷺ: ذلك هو اسمها، وليس فيها شيء من النعم سوى مشاهدة الله ﷻ.

وسبق أن مشاهدة الله عند أهلها أعز عندهم من كل نعيم.

قال: لأن مشاهدة الله تعالى فيها لذة جميع النعم التي في الجنة، ففيها ما في الجنة وزيادة شيء آخر، ولذة أهلها لذة الروح، ولذة غير أهل هذه الجنة لذة ذواتهم الباقية.

قال ﷺ: ومن له لذة من أحد النوعين لا يطيق الأخرى، ولا يقدر على الجمع بينهما إلا مخلوق واحد وهو سيد الأولين والآخرين نبينا ومولانا محمد ﷺ فهو يطيق من لذة المشاهدة وأسرارها ما لا يطيقه أحد، ويلتذ بذاته أيضًا في نعيم الجنة ما لا يلتذ منه أحد، ولا تشغله هذه عن هذه، فسبحان من قواه على ذلك وأقدره عليه.

قال ﷺ: وهذه الجنة فوق جنة الفردوس ومسامتة لها، وعدد ساكنيها قليل بالنسبة إلى غيرها من الجنان.

وأمّا جنة عليين فإن فيها من النعيم ما لا يحصى، وجنة الفردوس أكثر أنواعًا منها، وجنة عليين نعيمها أرق وأدق.

وكأنه يقول إنه كاد يكون معنويًا لقربها من دار المزيد التي نعيمها معنوي لا حسي، فجنة عليين أعلى وأحلى، ونعيم جنة الفردوس أكثر، وفي جنة عليين يسكن جماعة من الأنبياء منهم سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل، عليهما السلام.

فقلت: فيكف تصنع بالأحاديث الدالة على أن جنة الفردوس هي أعلى الجنان، كحديث البخاري: «إِذَا سَأَلْتُمْ فَاسْأَلُوا اللهَ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ»(١).

قال بعضهم: وسط الجنة؛ أي: جيدها وأعلاها حقيقة.

وقال بعضهم: الوسط قد يكون أعلى كوسط [الأكمه](٢) فهو وسط وأعلى، قاله الحافظ السيوطي في «البدور السافرة»، إلى غير ذلك من الأحاديث.

فقال ﷺ: لمن شاء أن يسمي هذه الجنان الثلاثة جنة واحدة فله ذلك، ويقول في المجموع إنه جنة الفردوس باعتبار أن قبته ﷺ أخذت من دار المزيد ومن جنة عليين ومن جنة الفردوس، فمن كان في جنة الفردوس كان مع النبي ﷺ ومن كان في عليين كان معه ﷺ ومن كان في دار المزيد كان كذلك معه ﷺ فمن نظر إلى مقامه ﷺ وجعل الجنان الثلاث جنة واحده فله ذلك.

قال ﷺ: والقبة المشرفة أخذت وسط الفردوس، و[جعلت](٣) في طرف عليين فأخذته إلى أن بلغت دار المزيد فأخذت وسطها.

* قلت: وبهذا تجتمع الأحاديث، والله أعلم.

فقلت: وبقية الجنان فيها نعم.

فقال ﷺ: فيها نعم على قدر أعمال أهلها، غير أن جنة الفردوس لهذه الأمة ولمن وحد الله بالهداية من غير بعثة نبي.

* قلت [له]: [كقس بن ساعدة](٤) وزيد بن عمرو بن نفيل.

فقال ﷺ: فهل شهد لهما النبي ﷺ بذلك؟

فلم أستحضر في الوقت جوابًا، ثم رأيت في شرح «منظومة القبور» لابن خليل السبكي التصريح بأنه ﷺ شهد لهما بأنهما يبعثان يوم القيامة أمة وحدهما.

---

(١) صحيح البخاري (٦/ ٢٧٠٠)، (٦٩٨٧).

(٢) في (ب):مكة.

(٣) في (ب):خرجت.

(٤) في (ب):قيس بن ساعدة.

وعبارته: قال بعض العلماء: أهل الفترة على ثلاثة أقسام:

الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته، ثم من هؤلاء من لم يدخل في شريعة [كقس بن ساعدة](١) وزيد بن عمرو بن نفيل.

إلى أن قال بعد ذكر القسمين: فأمّا القسم الأول فقد قال ﷺ في كل من [قس بن ساعدة] وزيد بن عمرو بن نفيل: «**إِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَاحِدَةً**»(٢) انتهى.

* **قلت**: ومراده ببعض العلماء الأُبي في «شرح مسلم» وقد نقل كلامه الحافظ السيوطي في «مسالك الحنفا» بأبسط مما نقله شارح المنظومة السابقة.

ثم لقيته ﷺ فعرضت عليه هذا الكلام.

فقال ﷺ: أردت أن أقول معناه، فخفت أن ينقل عني أني أقول إن النبي ﷺ شهد لأهل الجاهلية بدخول الجنة، فأردت أن أختبر هل للعلماء في ذلك كلام، فالحمد لله على وجود كلامهم بالموافقة.

قال: وإنما كان هؤلاء ونحوهم من أهل جنة الفردوس؛ لأن إيمانهم بالله وسط قومهم الكافرين إنما كان عن عناية عظيمة من الله تعالى بهم، أوجبت لهم أن يكون لهم نور عظيم به خرقوا ظلام الكفار، وتوصلوا إلى توحيد الله ﷻ من غير هاد لهم من جنسهم.

* **قلت**: فعدد الجنان كم هو؟

فقال ﷺ: ثمان.

فقلت: فما أولها؟

فقال ﷺ: دار السلام، ثم يليها جنة النعيم، ثم يليها جنة المأوى، ثم يليها دار الخلد، ثم يليها جنة عدن، ثم يليها جنة الفردوس، ثم يليها جنة عليين، ثم يليها دار المزيد.

---

(١) في (ب):قيس بن ساعدة، وهو الإيادي. صحابي مشهور أورده عبدان وابن شاهين وحديثه لما رآه النبي ﷺ كان قبل المبعث - إن ثبت - والله أعلم. [أسد الغابة (١/ ٩١١)]

(٢) حديث جابر: أخرجه ابن عساكر (١٩/ ٥١١). وحديث عروة المرسل: أخرجه ابن عساكر (١٩/ ٥١١).

* **قلت**: ولم يقع للعلماء ﷺ تحرير في عدد الجنان كما يعلم ذلك من «البدور السافرة» للحافظ السيوطي - رحمه الله - فإنه نقل عن بعضهم أن عددها أربع وعن بعضهم أنها سبع وعن بعضهم أنها جنة واحدة.

* **قلت**: وكون عددها ثمانية يناسب كون أبوابها ثمانية كما وردت به الأحاديث الكثيرة، في قوله في حديث: «**فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْـجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ**»(١) ورد هذا في أحاديث كثيرة، انظرها في «البدور السافرة».

وقال ﷺ: وليس ترتيبها كما يظن الناس أنها لا تكون إلا في جهة فوق، ثم بعد كونها في جهة فوق تكون جنة فوق جنة على الترتيب السابق، فإنها ليست كذلك، بل هذا العدد ثابت من الجهات الست، فمن جاء من جهة أسفل وجدها على هذا العدد، ومن جاء من جهة اليمين وجدها على هذا العدد، وهكذا سائر الجهات، وأمر الآخرة لا يشبه أمر الدنيا، والله أعلم.

- **وسألته** ﷺ مرة أخرى عن الجنان وترتيبها وكيفية وضعها؟

فقال ﷺ: ليس على وجه الأرض ولا في مخلوقات الله ما بينه وبين الجنة شبه، إلا أن يكون البرزخ فإن له شبهًا بالجنة، والبرزخ لم يشاهده الناس فكيف يصح التمثيل به؟

فقلت له بناءً على أن البرزخ هو الصور: سمعنا في الأحاديث أنه مخلوق عظيم على صفة القرون الدائرة الواحدة منه قدر ما بين السماء والأرض.

فقال ﷺ: نعم، وفيه ثقب كثقب شفافة البحر، وفي تلك الثقب تكون الأرواح، ثم تلك الثقب ليست في ظاهره فقط بل له عمق عظيم، وهو كله ثقب كما في ظاهره، فلنجعل من تلك الثقب بمنزلة الثقب التي في شهد النحل إلا إذا أردنا أن نقرب المثال بضم شهدة إلى مثلها حتى يكمل ذلك عدد عشرين شهدة مثلاً، فلنلصق هذه بهذه وهذه بهذه حتى يصير المجموع شيئًا واحدًا، فيصير ظاهر ذلك المجموع وباطنه كله ثقب، ولنفرض الشهد

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٥، رقم ١٧٣٥٢)، ومسلم (١/ ٢٠٩، رقم ٢٣٤)، وأبو داود (١/ ٤٣، رقم ١٦٩) والنسائي (١/ ٩٢، رقم ١٤٨)، وابن ماجه (١/ ١٤٥، رقم ٤١٩) وابن خزيمة (١/ ١١٠، رقم ٢٢٢)، وابن حبان (٣/ ٣٢٥، رقم ١٠٥٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٨٠، رقم ٣٣٣٤)، وفي شعب الإيمان (٣/ ٢٠، رقم ٢٧٥٣).

مختومًا بغشائه حتى لا يرى ما في الثقب من العسل في الممثل له.

قال ﷺ: فنشير إلى الجنة، فإذا فرضناها مثل ذلك المجموع على قدر ما ينزل [التفهيم](١) لا على ما هي عليه في نفس الأمر إذ رحمة الله الواسعة لا نهاية لها حتى تحصى، فنقول:

إذا قسمنا ذلك المجموع سبعة أقسام فتكون [الفرقة](٢) في القسم الأول المشار إليه بالثقبة قدر الدنيا وعشرة أمثالها، والقسم الثاني أضعاف أضعاف ذلك، والقسم الثالث يتضاعف إلى ما لا يحصى، والقسم الرابع لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ففيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، والخامس مثل الثالث، والسادس مثل الثاني، والسابع مثل الأول.

قال ﷺ: وإياك أن تظن أن أهل القسم الأول أدنى من الثاني وهكذا، بل بعض من في الأول قد يفوق من في الثاني.

ومرة قال: إن الله يعطي المؤمن في الجنة قدر ما فوق رأسه في الدنيا إلى العرش، وما تحته إلى العرش، وما على يمينه إلى العرش، وما على شماله إلى العرش، وما خلفه إلى العرش، وما أمامه إلى العرش.

ثم قال ﷺ: وهذا أدنى الناس منزلة في الجنة.

قال ﷺ: وإياك أن تظن أن المثال السابق موف بكيفية وضع الجنة أو مقرب، بل لا نسبة بينه وبينها أصلاً إنما ذكرناه استئناسًا؛ لأنه أحسن من السكوت.

وسمعته ﷺ **يقول**: إن السرير الواحد يرى في الجنة على أنواع شتى:

منها: ما هو على لون الفضة.

ومنها: ما هو على لون الذهب.

ومنها: ما هو على لون الزمرد الأخضر.

---

(١) في (ب):التقسيم.

(٢) في (ب):الغرفة.

ومنها: ما هو على لون السندس.

ومنها: ما هو على لون الياقوت الأحمر.

وغير ذلك من الألوان التي لا تكيف، وأصل الجميع واحد غير متعدد ولا مختلف، فإذا اشتهى الذي على السرير النزهة والانتقال من موضع إلى موضع انتقل به السرير إن شاء، وإن شاء انتقل هو بنفسه فيمشي إلى أي جهة شاء من الجهات الست، بخلاف الدنيا فإنه لا يمشي إلا إلى جهة أمام، وفي الجنة يمشي إلى فوق وإلى تحت وإلى يمين وإلى شمال وإلى خلف وإلى أمام، وله أيضًا جيران في الجهات الست بخلاف غالب مساكن الدنيا فإنه لا شيء فيها في جهة فوق ولا في جهة تحت بل فوقه السماء وتحته [البهموت](1).

قال ﷺ: وجميع ما في الجنة من النعم وأنواع الفواكه والثمار لا يشبهه شيء مما في الدنيا، ولو خرجت أسماء نعم الجنة وفواكهها وثمارها على قدر نورها وعلى حسب ما هي عليه في نفس الأمر لما فهم الناس شيئًا من الألفاظ الدالة عليها، لكنه تعالى بفضله ورحمته تنزل فسماها بهذه الأسامي التي يألفون في الدنيا ويعرفون في محاورتهم، فخاطبهم عن أنواع الثمار والفواكه التي في الجنة بذلك؛ ليقع لهم الفهم في الجملة وإن كانت المعاني متباينة.

قال ﷺ: وما مثلت ذلك إلا بهذه الخطابات التي تقع بيننا وبين أولادنا على قدر عقولهم وصغرهم، فنسمي لهم الخبز بب واللحم شتى، وغير ذلك مما يقع في مخاطبات الصبيان.

قال ﷺ: فنحن نسمع أن في الجنة عنبًا فنحسبه مثل عنب الدنيا، ولو خرجت حبة عنب من جنة الفردوس إلى الجنة التي تليها لشغلت أهلها بنورها عما في جنتهم، وهكذا لو خرجت حبة عنب من الجنة التي تليها إلى الثالثة لوقع لأهلها مثل ما وقع لأهل الثانية وهلم جرّا، إلى أن تخرج حبة عنب من الجنة التي تليها إلى أهل الدنيا ـ أعني: السماوات السبع والأرضين السبع ـ فإذا خرجت خسف لأجل نورها نور الشمس والقمر والنجوم ولا يبقى إلا نورها وضوؤها، والله أعلم.

---

(١) في (ب): السماوات.

وسمعته ﷺ يقول: إن أبواب الجنة ثمانية بعدد الجنان كما سبق، وإنما تكون هذه الأبواب قبل دخول الناس الجنة، وأمّا بعده فلا تبقى.

فقلت: لأن المقصود من الباب الدخول والخروج، فإذا انتفى الخروج لقوله تعالى: ﴿**وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ [الحجر:٤٨] لم تبق فائدة للباب.

فسكت ولم يقل شيئًا، فعلمت أنه لسر آخر أبى أن يذكره.

ثم قال ﷺ: وبإزاء كل باب من أبواب الجنة ملك من الملائكة الثمانية الذين يحملون العرش.

فقلت: ما سره؟

فقال ﷺ: هو أن نور نبينا ومولانا محمد ﷺ خلق الله منه عدد هؤلاء الملائكة الثمانية وعدد الجنان الثمانية، وبعد أن قسمه إلى ثمانية أقسام، وخص كل قسم بسر من الأسرار، فجعل من كل قسم من تلك الأقسام ملكًا وجنة فتناسبا في الأصل والسر، وجعل من قسم آخر ملكًا وجنة فتناسبا أصلاً وسرًا، وهكذا إلى تمام الأقسام الثمانية، فلذا كان بإزاء كل باب ملك يناسب الجنة التي تشاكله، فيسقى ذلك الملك بنور تلك الجنة.

* **قلت**: وهل باب التوبة المفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها من جملة أبواب الجنة كما هو ظاهر بعض الأحاديث، أخرجه أبو يعلى والطبراني وابن أبي الدنيا عن ابن مسعود ﷺ فقال في الحديث: «**وَلِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ، سَبْعَةٌ مِنْهَا مُغْلَقَةٌ، وَبَابٌ مَفْتُوحٌ لِلتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ**»[(١)]. أورده في «البدور السافرة».

فقال ﷺ مشيرًا إلى التأويل: نور الإيمان هو جنة من الجنان، بل هو سبب كل نعيم في الجنان، بل وسبب في الجنان أنفسها، فهو سبب كل خير وسعادة، وإذا كانت التوبة بابًا له كانت بهذا الاعتبار بابًا من أبواب الجنان، وأيضًا فداخل الجنان انتقل من حالة سفلى إلى حالة عليا وهي ما كانت عليه ذاته من الوسخ والخبث، وداخل التوبة كذلك انتقل من حالة سفلى وهي ظلام المعاصي إلى حالة عُليا وهي نور التوبة والطاعة، فالتوبة باب من أبواب الجنة بهذا الاعتبار.

---

(١) أخرجه الطبراني (١٠/ ٢٠٦، رقم ١٠٤٧٩)، قال الهيثمي (١٠/ ١٩٨): إسناده جيد، والحاكم (٤/ ٢٩٠، رقم ٧٦٧١).

قال ﷺ: وأمّا سده عند طلوع الشمس من مغربها، فكناية عن رفع نور الحق من الأرض ومن الخلائق التي فيها، فذلك الرفع هو أمر الله المشار إليه في الحديث: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْـحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**»(١)، وهم أهل الدائرة والعدد وكل من أخذ بحظه من ذلك النور فهم حملته وبهم يبقى على وجه الأرض، فإذا أراد الله تعالى رفعه من الأرض لم يبق منهم أحد فيرتفع النور؛ لأنه لا حامل له.

وذكر كلامًا آخر، وهو سر من أسرار الله تعالى.

* **قلت**: وما ذكره في تأويل الحديث نقل نحوه الشيخ عبد الرءوف المناوي في «شرح الجامع الصغير» عن ناصر الدين البيضاوي، واقتصر عليه مرتضيًا له.

وإذا تأملته مع ما أشار إليه شيخنا ﷺ وجدت ما أشار إليه الشيخ ﷺ أصح نظرًا وأظهر معنى وأوضح في التأويل، والله تعالى أعلم.

- **وسألته** ﷺ: لم كانت الجنة تزيد بالصلاة على النبي ﷺ دون التسبيح وغيره من الأذكار؟

فقال ﷺ: لأن الجنة أصلها من نور النبي ﷺ فهي تحن إليه حنين الولد إلى أبيه، وإذا سمعت بذكره انتعشت وطارت إليه؛ لأنها تسقى منه ﷺ.

ثم ضرب مثلاً بدابة اشتاقت إلى قوتها وعلفها وشعيرها، فجيء إليها بالشعير وهي أجوع ما كانت، فإذا شمت رائحته فإنها تقرب منه، وإذا بعد عنها تبعته دائمًا حتى تدركه، فكذا حال الملائكة الذين في أطراف الجنة وأبوابها يشتغلون بذكر النبي ﷺ والصلاة عليه ﷺ فتحن الجنة إلى ذلك، وتذهب الجنة نحوهم وهم في جميع نواحيها فتتسع من جميع الجهات.

قال ﷺ: ولولا إرادة الله ومنعه لخرجت [الجنة](٢) إلى الدنيا في حياة النبي ﷺ وتذهب معه حيث ذهب، وتبيت معه حيث بات، إلا أن الله تعالى منعها من الخروج إليه

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢٣، رقم ١٩٢٠)، والترمذي (٤/ ٥٠٤، رقم ٢٢٢٩) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١/ ٥، رقم ١٠).

(٢) سقطت من (أ).

ﷺ ليحصل الإيمان به ﷺ على طريق الغيب.

قال ﷺ: وإذا دخل النبي ﷺ الجنة وأمته، فرحت بهم الجنة واتسعت لهم وحصل لها من السرور والحبور ما لا يحصى، فإذا دخلها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وأممهم تنكمش وتنقبض، فيقولون لها في ذلك فتقول: ما أنا منكم ولا أنتم مني، حتى يقع الفصل بواسطة استمداد أنبيائهم من النبي ﷺ.

وسمعته ﷺ **يقول في قولهم: إن الصلاة على النبي** ﷺ **مقبولة قطعًا من كل أحد.**

فقال ﷺ: لا شك أن الصلاة على النبي ﷺ أفضل الأعمال، وهي ذكر الملائكة الذين هم على أطراف الجنة، ومن بركة الصلاة على النبي ﷺ أنهم كلما ذكروها زادت الجنة في الاتساع، فهم لا يفترون عن ذكرها والجنة لا تفتر عن الاتساع، فهم يجرون والجنة تجري خلفهم، ولا تقف الجنة عن الاتساع حتى ينتقل الملائكة المذكورون إلى التسبيح، ولا ينتقلون إليه حتى يتجلى الحق ﷻ لأهل الجنة في الجنة، فإذا تجلى لهم وشاهده الملائكة المذكورون أخذوا في التسبيح، فإذا أخذوا فيه وقفت الجنة واستقرت المنازل بأهلها، ولو كانوا عندما خلقوا أخذوا في التسبيح لم تزد الجنة شيئًا، فهذا من بركة الصلاة على النبي ﷺ.

ولكن القبول لا يقطع به إلا للذات الطاهرة والقلب الطاهر؛ لأنها إذا خرجت من الذات الطاهرة خرجت سالمة من جميع العلل مثل الرياء والعجب، والعلل كثيرة جدًّا ولا يكون شيء منها في الذات الطاهرة والقلب الطاهر، وهذا معنى ما في الأحاديث الأُخر، «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْـجَنَّةَ**»(١) يعني به: إذا كانت ذاته طاهرة وقلبه طاهرًا، فإن قائلها حينئذ يقولها لله تعالى مخلصًا.

قال ﷺ: ومع ذلك إذا نظرت إلى سطوة الملك وغلبة قهره تعالى، وكون قلب العبد بين أصبعين من أصابعه يقلبه كيف شاء، ويزين له سوء عمله في الوجهة الذي قلبه إليه،

---

(١) أخرجه الطيالسي (ص ٦٠، رقم ٤٤٤)، عن أنس. وبلفظ: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» أخرجه أحمد (١/ ٦٥، رقم ٤٦٤)، ومسلم (١/ ٥٥، رقم ٢٦)، وابن حبان (١/ ٤٣٠، رقم ٢٠١)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٧٤، رقم ١٠٩٥٣)، وعبد بن حميد (ص ٤٨، رقم ٥٥)، وأبو عوانة (١/ ١٩، رقم ١٠).

حتى يظهر أنه أولى من الحال الذي كان عليه ـ والعياذ بالله ـ علمت أنه لا يأمن مكره تعالى إلا من خسر دنياه وآخرته، والله تعالى أعلم.

* قلت: وهذا الذي ذكره الشيخ ﷺ في قبول الصلاة على النبي ﷺ هو الذي لا شك فيه.

وقد سئل عن هذه المسألة الولي الصالح، العالم الرابح، سيدي محمد بن يوسف السنوسي ـ رحمه الله ـ وقد ذكر له السائل أنه سمع من بعض الفقهاء يقول: إن الصلاة على النبي ﷺ مقبولة على كل حال.

فأجابه الشيخ المذكور بأنه وقع مثل ذلك لأبي إسحاق الشاطبي شارح الشاطبية، واستشكل ذلك الشيخ السنوسي ـ رحمه الله ـ بأنه لو قطع بالقبول للمصلي على النبي ﷺ لقطع له بحسن الخاتمة، كيف وهي مجهولة باتفاق؟

ثم أجاب عن الإشكال بجوابين وهما في الحقيقة احتمالان عقليان لا دليل عليهما من الشرع، فلا يقبلان في باب القبول الذي لا يعلم إلا من قبل الشرع:

الجواب الأول: معنى القطع بقبولها أنه إذا قضى الله تعالى للمصلي بحسن الخاتمة وجد حسنة الصلاة على النبي ﷺ مقبولة لا ريب فيها بفضل الله، بخلاف غيرها من الحسنات فإنه لا يوثق بقبولها وإن مات صاحبها على الإيمان، وفيه نظر، فإن هذا التفريق توقيفي لا يعلم إلا من قبل الشرع، فكان الواجب بذل الجهد في تعيين النص على هذا التفريق من صاحب الشرع، فإن وجد فذلك وإلا فالعقليات لا دخل لها في أمور الشرع.

الجواب الثاني: إن معنى القطع بقبولها أنها إذا صدرت من صاحبها على سبيل المحبة للنبي ﷺ فإنه يقطع بقبولها فينتفع بها في الآخرة، ولو في تخفيف العذاب إن قضى الله عليه به ولو على سبيل الخلود، ثم قاس ذلك على انتفاع أبي لهب بسقيه في نقرة الإبهام، وتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب عتقه الجارية التي بشرته بولادة النبي ﷺ وعلى انتفاع أبي طالب بسبب محبته للنبي ﷺ حتى كان أهون الناس عذابًا في الآخرة، وأنه لولا النبي ﷺ لكان في الدرك الأسفل من النار.

قال: وإذا حصل الانتفاع بسبب الحب الطبيعي وإن كان لغير الله فكيف بحب

المؤمن لهذا السيد وصلاته عليه ـ يعني: فيكون القياس [أحرويا][١] ـ وفيه نظر، فإن النصوص من الكتاب والسنة تكاثرت بإحباط عمل الكافر، وأن الإيمان شرط في القبول، وأبو طالب وأبو لهب خرجا من ذلك النص، فعدل بهما عن سنن القياس فلا يقاس عليهما؛ لأن من شرط المقيس عليه على ما تقرر في الأصول ألّا يعدل به عن سنن القياس.

وقد قال الحافظ السيوطي ـ رحمه الله ـ في «الدرر المنتثرة»[٢] في الأحاديث المشتهرة، عندما تكلم على حديث: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي فَوَجَدْتُ مِنْهَا الْمَقْبُولَ وَالْمَرْدُودَ إِلَّا الصَّلَاةَ عَلَيَّ**»، لم أقف له على سند.

وقال صاحب «تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على الألسنة من الحديث»[٣]: «**كُلُّ الْأَعْمَالِ فِيهَا الْمَقْبُولُ وَالْمَرْدُودُ إِلَّا الصَّلَاةَ عَلَيَّ، فَإِنَّهَا مَقْبُولَةٌ غَيْرُ مَرْدُودَةٍ**»[٤] قال ابن حجر: ضعيف [جدًّا].

وقال السيد السمهودي في كتابه الذي سماه «الغماز على اللماز»[٥] عند كلامه عليه ما نصه: حديث: «**كُلُّ الْأَعْمَالِ فِيهَا الْمَقْبُولُ وَالْمَرْدُودُ إِلَّا الصَّلَاةَ عَلَيَّ، فَإِنَّهَا مَقْبُولَةٌ غَيْرُ مَرْدُودَةٍ**» قال ابن حجر: ضعيف [جدًّا].

وقال صاحب «التمييز»[٦] أيضًا: حديث: «**الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَا تُرَدُّ**»، هو من كلام أبي سليمان الداراني، وأورده في «الإحياء»[٧] مرفوعًا.

قال شيخنا: هو مما لم أقف عليه وإنما هو عن أبي الدرداء من قوله ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ حَاجَةً فَابْدَءُوا بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَرُدَّ الْأُخْرَى**» انتهى. وشيخه المشار إليه هو أبو الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي صاحب «المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث الدائرة على الألسنة».

---

(١) في (ب): أخرويا.
(٢) في (ص٣١٦).
(٣) في (ص١٧٢).
(٤) ذكره السخاوي في المقاصد (٨١٦)، والشوكاني في الفوائد (٣٦)، (١/ ١٥٣).
(٥) في (ص٣١٦).
(٦) في (ص٢٥).
(٧) في (٢/ ٩٩).

إذا فهمت هذا ونحوه علمت أنه لا دليل على القطع بقبول الصلاة على النبي ﷺ نعم هي أرجى في القبول وأدخل في باب الظنون من غيرها، والله تعالى أعلم.

وسمعته ﷺ يقول في لباس أهل الجنة: وأنها لا تفنى ولا تطرح، وفي ساعة يلبس الشخص مقدار سبعين ألفًا، وإذا كان لا يطرحها فكيف الحال فإنها تثقل عليه؟ والجواب أنها أنوار فتجيء أنوار وتذهب أنوار.

وقال ﷺ: إن نظر الذات لا يقف على حد أبدًا؛ لأن نعم الله فيها لا حد لها، فإذا نظرت الذات إلى نعمة فبمجرد مشاهدتها تحصل له نعمة أخرى في مشاهدتها، ثم ثالثة ورابعة، وهي تتنعم بكل نظرة لاختلاف المشاهد.

ثم ضرب ﷺ مثلاً بالمرآة الكبيرة وكانت بين أيدينا، وذلك أنا تعجبنا لما رأيناها؛ لأنها كانت كبيرة جدًّا، بحيث إن الشخص يقف فيرى ذاته كلها فيها فاشتد تعجبنا منها.

قال ﷺ: فإذا رأينا أخرى مثلها فلا نتعجب، وإذا رأينا أخرى مخالفة لها فإنا نتعجب أيضًا كما تعجبنا من الأولى، وفي الجنة لا يرى إلا ما يخالف.

قال ﷺ: واختلف الأولياء في أنا لو رجعنا إلى النعمة الأولى هل نجدها على حالتها الأولى أم لا، والله أعلم.

وسمعته ﷺ يقول وقد جرى في كلامه: إن بعض من يكون في الجنة قد يعرض له تحسر وتحزن، [فتكدر](1) بعض أهل العلم فأراد إنكار ذلك.

وقال: إن التحسر لا يكون في الجنة.

فقلت: لا تنكر، فإني قط ما سمعته ﷺ يقول شيئًا إلا وجدته منصوصًا عليه بخصوصه أو عمومه، أو بذكر نظيره، واختبرته على هذه الحالة نحوًا من خمسة أعوام.

ثم قلت له: وهذا الذي أنكرته منصوص عليه، واستحضرت النص ونحن مسافرون ـ والحمد لله ـ فأردت أن أكتب ما قاله الشيخ ﷺ ثم أذكر النص.

فقال لي ﷺ: ولم أنكر ذلك الفقيه؟ إن أهل الجنة كلهم إذا دخلوا الجنة سطع نور

---

(١) في (ب): فحضر.

الحمد على ألسنتهم، ويكون ذلك النور على قدر معرفتهم بربهم في دار الدنيا، فإذا دخلوا [الجنة](١) وحصلت لهم معرفة بربهم زائدة على ما عرفوا في دار الدنيا زيادة لا تحصى، ندموا من عند آخرهم على ما قصروا في حق ربهم وخدمته وعبادته.

قال ﷺ: فهذا أمر يكون في الآخرة وهو حق لا شك فيه ولا مرية.

قال ﷺ: وتقع مسألة أخرى لخصوص الزناة إذا دخلوا الجنة وتجلى لهم الحق ﷻ فإذا علموا ما هم عليه من الخساسة والجهل بربهم، وعلموا ما هو عليه من الجلالة والعظمة والكبرياء والقهر والغلبة وسعة الرحمة، مع ذلك ندموا واستحيوا حتى يغشى عليهم مدة، وعند ذلك يقول من عصمه الله من الزنا بعضهم لبعض: لقد خصنا ربنا في هذا الوقت بجميع نعمه، فإذا أفاق أهل الغشية حصل لهم من القوة وكمال المعرفة شيء لا يكيف.

فهذا ما استدل به ﷺ على وجود مطلق التحسر في الجنة.

* **قلت**: وقد ورد النص بذلك.

قال الحافظ السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ في «البدور السافرة» ما نصه: باب تحسر أهل الجنة على ترك الذكر: أخرج الطبراني والبيهقي بسند جيد عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَّا عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهَا»**(٢).

وأخرج أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم وصححه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ»**(٣).

---

(١) سقطت من (أ).

(٢) حديث معاذ: ذكره الحكيم (٤/ ١٠٦)، وأخرجه الطبراني (٢٠/ ٩٣، رقم ١٨٢). قال الهيثمى (١٠/ ٧٤): رجاله ثقات، وفى شيخ الطبراني محمد بن إبراهيم الصورى خلاف. والبيهقى في شعب الإيمان (١/ ٣٩٢، رقم ٥١٣). وأخرجه أيضًا: الديلمى (٣/ ٤٠٨، رقم ٥٢٤٤).

حديث جبير بن نفير: أخرجه الطبراني في الشاميين (١/ ٢٥٨، رقم ٤٤٦).

(٣) أخرجه ابن حبان (٢/ ٣٥٢، رقم ٥٩١)، وأحمد (٢/ ٤٦٣، رقم ٩٩٦٦) قال الهيثمى (١٠/ ٧٩): رجاله رجال الصحيح.

وأخرج البيهقي وابن أبي الدنيا عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ سَاعَةٍ مَرَّتْ عَلَى ابْنِ آدَمَ لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهَا إِلَّا تَحَسَّرَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[١]. انتهى ما أورده الحافظ في هذا الباب.

وقال في باب لباس أهل الجنة: أخرج الطيالسي بسند صحيح والنسائي وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ لَبِسَ الْـحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ دَخَلَ الْـجَنَّةَ لَبِسَهُ أَهْلُ الْـجَنَّةِ وَلَمْ يَلْبَسْهُ هُوَ»**[٢].

قال في موضع آخر: أخرج الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ شَرِبَ الْـخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ»**[٣].

والأحاديث في هذا كثيرة، فلنقتصر على هذا القدر؛ لأن الغرض جمع كلامه ﵁ ونفعنا به.

وسمعته ﵁ يقول: إن المؤمنين يستحضرون النعم في عقولهم، ويجرونها على قلوبهم، ويفرحون بالجنة وبما أعد الله تعالى لهم فيها من النعيم.

وأمّا الولي ففكره منقطع عن غير الله تعالى، وليس المراد أن فكره يتوجه لغيره تعالى وهو يقطعه، بل المراد أنه لم يخلق في عقولهم ولا يخلق أبدًا الفكر في غير الله تعالى، ولذا سموا أولياء الله لانقطاعهم عن غيره تعالى.

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٥١١)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٦١-٣٦٢) من طريق عمرو بن حصين: حدثنا محمد بن علاثة عن إبراهيم بن أبي عبلة عن عمر بن عبدالعزيز عن عروة عنها: وقال البيهقي: وفي هذا الإسناد ضعف؛ غير أن له شواهد من حديث معاذ!

(٢) أخرجه الطيالسى (ص ٢٩٤، رقم ٢٢١٧)، والطحاوى (٤/ ٢٤٦)، وابن حبان (١٢/ ٢٥٣، رقم ٥٤٣٧)، والحاكم (٤/ ٢١٢، رقم ٧٤٠٤). وأخرجه أيضًا: النسائي في الكبرى (٥/ ٤٧٠، رقم ٩٦٠٧).

(٣) أخرجه مالك (٢/ ٨٤٦، رقم ١٥٤٢) والطيالسى (ص ٢٥٤، رقم ١٨٥٧)، وأحمد (٢/ ١٩، رقم ٤٦٩٠)، والنسائى (٨/ ٣١٨، رقم ٥٦٧٣)، والبخارى (٥/ ٢١١٩، رقم ٥٢٥٣)، ومسلم (٣/ ١٥٨٨، رقم ٢٠٠٣)، وابن ماجه (٢/ ١١١٩، رقم ٣٣٧٣). وأخرجه أيضًا: الشافعى (١/ ٢٨١)، والدارمى (٢/ ١٥٢، رقم ٢٠٩٠)، وأبو عوانة (٥/ ١٠٦، رقم ٧٩٧٠)، والحاكم (٤/ ١٦٢، رقم ٧٢٣٠) وقال: صحيح غريب. والبيهقى (٨/ ٢٨٧، رقم ١٧١١٣).

فهذا الكلام منه ﷺ جمع على الله، ودلالة عليه، وترفيع لهمة العبد حتى لا يشتغل بالنعمة وينسى الذي أنعم عليه ﷻ بل الواجب عليه هو الاشتغال بالمنعم عليه والابتهال إليه والتضرع بين يديه والخضوع إليه، هذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه العبد المؤمن.

وأمّا النعم فلا يكون تشوفه إليها إلا على طريقة التحبب إلى ربه والتودد إليه، والإقرار بأنها منه ﷻ فلا ينظر إليها إلا بهذه العين، وأمّا قبلها فهو مع سيده وخالقه، حتى لو فرضنا فقدان تلك النعمة أو عدم وجودها أصلاً فإن القلب يبقى على ما هو عليه من التوجه إلى سيده، والاستغراق في بحار توحيده وأسرار ألوهيته، فلا يشغله وجود نعمة ولا زوالها عن المنعم ﷻ.

ولذا سمعت الشيخ ﷺ يقول: إذا حصل للولي مراده من الحق ﷻ فلا يبالي أين ينزله الحق ﷻ.

ثم ضرب مثلاً بدودة متشوفة لأكل العسل بجميع عروقها وأجزائها، فإذا جعلت هذه الدودة في خابية عسل واتصلت بمطلوبها وجعلت تأكل ليلها ونهارها منه، فإذا جعلت هذه الخابية التي فيها العسل والدودة في خابية أخرى أكبر منها مملوءة بالقطران، فإن الدودة لا تبالي بذلك، ولا يقع في قلبها غير عسلها، ولا يتكدر عليها مشروبها برائحة قطران ولا بغيره؛ لأن ذاتها وكليتها متشوفة إلى العسل منقطعة عن غيره، فلا تتشوف للقطران فضلاً عن أن تتكدر به، والله أعلم.